يقول: "كل شيء ينطوي على تعميم للأفكار ليس داخل نطاق المرأة، فدراستها ينبغي أن تهتم بالأمور العملية، فمهمتهن تطبيق المبادئ التي يكتشفها الرجل، ويترك لهن أن يعملن الملاحظات التي تؤدي بالرجل إلى اكتشاف هذه المبادئ"[1].

إذن هل نقول إن بالتربية نستطيع أن نغير الموازين؟

للتأكيد على هذا نأتي باليقين الذي لا ينطق عن الهوى، يقول رسول الله ﷺ: "كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه" إذن هناك من يقولبها أي يضعها في قالب الدعة والاستكانة فإن هي خرجت عن هذا النطاق فالويل لها، فالاتهامات جاهزة ومجانية فإن أبدت تصميماً وقوة قالوا: مسترجلة، وإن اتسمت هذه المرأة بالتفهم والحنان قالوا: ضعيفة يخرج الأمر من يدها!!

خولة:

وتخرج المرأة الشجاعة دائما من بين الحطام فلا أحد يدعوها للخروج، ولكنها تخرج حينما تجد الحطام يخنقها، تذكرت خولة بنت الأزور الأسدي[2] عندما تصفحت كتاب الدكتورة أورزولا شوي أصل الفروق بين الجنسين وهي تؤكد "أن تأثير وسائل الإعلام هو في الحقيقة غير مباشر ولكن لا يمكن بأي حال من الأحوال

(1) إيميل، جان جاك روسو.
(2) خير الدين الزركلي الأعلام الجزء الثاني صفحة: 325.

التهوين من شأنه ومفعوله "لقد حمدت الله أن تلك البطلة العربية المسلمة لم يكن تأثير الإعلام عليها قد أغلق حلقاته، مثلما هو واقع الآن على صغيراتنا اللاتي يقرأن الكتب فلا يجدن إلا امرأة مسلوبة الإرادة أو بنتا يقودها كلبها لأنه ذكر، تقول الدكتورة أورزولا شوي في إيرادها لدراسة قامت بها الدكتورة ليونوره فايتسمان للكتب المصورة للأطفال في الولايات المتحدة": لا تتواجد النساء تقريبا في الكتب المصورة أي إن تمثيلهن أقل بكثير من العناوين والأدوار المركزية..

فالأغلبية المطلقة من الكتب تدور حول الصبيان والرجال حتى الحيوانات مذكرة وإذا ما ظهرت النساء فإنهن يلعبن دورا تافها في الواقع يمثل الجنس الأنثوي واحدا وخمسين في المائة من السكان، أي النصف تقريبا وتظهر صورة واحدة للإناث مقابل إحدى عشرة صورة للذكور وإذا أخذت صور الحيوانات في الاعتبار، وهي ذات تماثل جنساني باد للعيان، عندئذ يقابل كل أنثى 95 ذكرا"!!

وتوجز فايتسمان كثيرا من النقاط التي رغم إيجازها لها، نراها تملأ صفحات بالعجب، وسوف أورد ما ذكرني ببطلتنا خولة بنت الأزور منها.

تقول فايتسمان في دراستها: "تُصور البنات منعزلات وعلى النقيض من الصبيان الذين يظهرون وهم يلعبون لعبا رفاقيا أو يقومون بالمغامرات وإذا كانت القصص تدور مثلا حول التحرير والإنقاذ وكثيرا ما تكون حول ذلك، فإنه يجري تصوير

الصبيان حصرا، أما الضحية المرتجفة فهي طبعا أنثى في الغالب، فالبنات الصغيرات مخلوقات ضعيفة، يجب إنقاذها (مثل الحيوانات الصغيرة) حتى عندما يكون الصبي الذي يقودها أصغر منها[1].

ومن الفروق التمييزية الواضحة بصورة خاصة، تصوير البنات الصغيرات ينقدن على الدوام لكلب صغير واضح أنهن لم يستطعن السيطرة عليه بينما الصبيان الصغار يظهرون مع كلب ضخم، ومع أنهم أصغر منه، فهم يقودونه بشكل ممتاز"[2].

ممتازة يا ليونوره فايتسمان، ليتك قرأت قصة خولة قبل أن يأتي عصر تقرأ فيه بنات خولة ذلك التوجيه الإعلامي الظاهر والمبطن، لم تنتظر خولة أن يهب الآخرون إلى نجدة أخيها الذي أسر في معركة أجنادين، لقد انطلقت فوق فرسها تحمل رمحها تحمل على عساكر الروم الذين أسروا أخاها كأنها السهم المارق تدخل بينهم فتزعزع كتائبهم وتحطم موكبهم تخرج من جهة وتدخل في أخرى معرضة نفسها للهلاك لا هيابة ولا وجلة فيقلق عليها الناس باعتبارها فارسا ملثما مجهولا، ظنوها القائد خالد بن الوليد فقالوا: ما هذه الحملات إلا لخالد ولكن خالدا يظهر لرافع ابن عميرة فيسأله: من الفارس الذي تقدم أمامك فلقد بذل نفسه ومهجته؟

(1) أصل الفروق أرزولا شوي صفحة: 125.
(2) أصل الفروق بين الجنسين أورزولا شوي صفحة: 125.

فقال خالد: والله إنني أشد إنكاراً منك، أعجبني ما ظهر منه ومن شمائله، فقال رافع أيها الأمير إنه منغمس في عسكر الروم، يطعن يميناً وشمالاً، فقال خالد: يا معشر المسلمين احملوا بأجمعكم وساعدوا المحامي عن دين الله فأطلقوا الأعنة وقوموا الأسنة والقائد خالد أمامهم وكلما لحقت به الروم لوى وجندل فعند ذلك حمل خالد ومن معه ووصل الفارس الملثم إلى جيش المسلمين فتأملوه مخضبا بالدماء فصاح خالد والمسلمون: لله درك من فارس بذل مهجته في سبيل الله وأظهر شجاعته على الأعداء، اكشف لنا عن اسمك وارفع لثامك، لم تجب خولة وإنما بعدت فلحق بها القائد بعد أن ظل الآخرون يطالبونها برفع اللثام، يقول لها: ويحك لقد شغلت قلوب الناس وقلبي بفعلك، من أنت؟

أجابت خولة من وراء اللثام بعد إلحاحه: إنني أيها الأمير لم أعرض عنك إلا حياء منك لأنك أمير جليل وأنا من ذوات الخدور وبنات الستور وإنما حملني على ذلك أي محرقة الكبد زائدة الكمد، فعاد يسألها: من أنت؟

قالت أنا خولة بنت الأزور أخت ضرار المأسور بيد المشركين وإني كنت مع بنات العرب وقد أتاني الساعي بأن أخي أسير فركبت وفعلت ما رأيت.[1] وهنا حمل المسلمون وحملت خولة وعظم على الروم ما نزل بهم من خولة بنت الأزور وقالوا: إن كان القوم كلهم مثل هذا الفارس فمالنا بهم من طاقة.

(1) زينب بنت فواز العاملي معجم النساء صفحة 300 والأعلام للزركلي صفحة: 325.

انهـزم الروم ولم يظهـر ضـرار وتقـدم خـالد وخـولة أبطال المسلمين وسألوهم عن ضرار؟

قالوا لعله العاري الجسد الذي قتل منا عددا كبيرا وقتل ابن صاحبنا؟ قال خالد إنه هو، قالوا: لقد بعثه قائدنا إلى حمص ليبعث من هناك إلى الملك ثم لينظر في أمره.

هنا دعا القائد خالد برافع بن عميرة، ليقول له ما أعلم أحدا أخبر منك بالمسالك، وأنت الذي قطع بنا المفازة من أرض السماوة، فخذ معك من أحببت واتبع أثر القوم فلعلك تلحق بهم، وتخلص صاحبنا من أيديهم.. وانتخب مائة فارس وعزم على المسير وبشرت خولة بمسير رافع، فأسرعت إلى تقلد سلاحها واعتلاء حصانها وذهبت إلى خالد بن الوليد لتقول له سألتك بالطاهر المطهر محمد سيد البشر إلا إن تسرحني مع من سرحت فلعلي أكون مشاهدة لهم!! فقال خالد لرافع: أنت تعلم شجاعتها فخذها معك، فقال له رافع، السمع والطاعة، وما هو إلا وقت قصير حتى وصلوا إلى وادي الحياة بالقرب من حماة وما هي إلا ساعة من نهار وضرار معهم بعد أن قتلوا الآسرين!![1] خولة أسرت مثلما وقع أخوها في الأسر وذلك في موقعة صحورا بالشام ولكنها لم تستسلم ولم تقر لها عين، لقد جمعت خولة النسوة المأسورات معها وقامت فيهن خطيبة، قالت: يا بنات حمير وبقية تبع، أترضين لأنفسكن علوج الروم ويكون أولادكن عبيدا لأهل الشرك؟

(1) عمر رضا كحاله أعلام النساء صفحة: 378.

فأين شجاعتكن؟ وأين براعتكن التي تتحدث بها عنكن أحياء العرب ومحاضر الحضر؟

إني أراكن بمعزل عن ذلك وإني أرى القتل عليكن أهون من هذه الأسباب وما نزل عليكن من خدمة الروم.

قالت لها زميلة لها: صدقت والله يا بنت الأزور نحن في الشجاعة كما ذكرت وفي البراعة كما وصفت، لنا المشاهد العظام والمواقف الجسام ووالله لقد اعتدنا ركوب الخيل وهجوم الليل غير أن السيف يحسن فعله في مثل هذا الوقت وإنما دهمنا العدو على حين غفلة وما نحن إلا كالغنم بدون سلاح، فقالت خولة: يا بنات التابعة خذوا أعمدة الخيام، وأوتاد الأطناب ونحمل بها على هؤلاء اللئام فلعل الله ينصرنا عليهم، فقالت لها زميلتها عفراء بنت عفار: والله ما دعوت إلا ما هو أحب إلينا مما ذكرت ثم تناولت خولة عامودا ومن بعدها زميلاتها اللاتي استمعن إليها وهي تقول لهن لا ينفك بعضكن عن بعض وكن كالحلقة الدائرة ولا تتفرقن فتملكن فيقع بكن التشتيت وحطمن رماح القوم وكسرن سيوفهم وهجمت خولة وهجم النساء وراءها وقاتلن قتالاً شديداً حتى خلصن أنفسهن من الأسر[1].

لو عدنا إلى خولة بنت الازور الأسدي، تلك المرأة الشاعرة التي فكت أخاها ضراراً من الأسر ثلاث مرات متواليات وقارنا

(1) أعلام النساء صفحة: 380.

عصرها وعصر حفيداتها بعد ألف ومئات السنين لوجدنا المشهد يختلف اختلافاً شاسعاً، ولرأينا المشهد مغرقا في الغرابة، ففي عصر لا سيارة فيه ولا طائرة تستطيع المرأة السفر من بر إلى بر وتستطيع أن تتخذ قرارها وتنفذه دون خوف من أن يغضب أخوها أو ابنها الذي يرى أن من مستلزمات بقائه رجلا، وضعها في أسر الأسباب التي قد تؤدي إلى الفتنة!!

ولأن الفتنة أشد من القتل فقد اخترعوا الأسباب وتعددت الأسباب والموت واحد، ولأن الموت قد غيب قصصا كانت مزهرة بالدلالات فإنني أعود دائما لاستلهام أريج عبق فواح بطيوب أعواد خيزران ونخيل بسقت في أرض خصبت فأعطت.[1]

الخيزران:

الخيزران بنت عطا هل كان لها من اسمها نصيب؟

غصن الخيزران هذا النبات الجميل يأتي للدنيا طرياً ولكنه في نفس الوقت له ضربة لاسعة، مؤلمة، الخيزران المرأة، أتت من بين بنات اليمن الذي كان سعيدا وبناته هن اللاتي لم يقبلن أبدا أن يتركن الرجال وحدهم يهتمون بالسياسة، ألسن حفيدات بلقيس؟

اقتيدت هذه المرأة من اليمن لتجد نفسها في قصر المنصور الخليفة العباسي الذي أهداها لابنه المهدي مع وصية يقول له فيها إنها أهل لإنجاب الولد!!

(1) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور لزينب بنت علي بن حسين بن فواز العاملي: أعلام النساء وعمر رضا كحالة.

لقد أنجبت خيزران للمهدي "الولد" إنها أم هارون الرشيد ذلك الخليفة الذي اتسعت في خلافته الإمبراطورية الإسلامية حتى وصل هذا الابن إلى أن يصل إلى مخاطبة السحابة التي تمر في بغداد قائلاً لها: اذهبي يا سحابة فأين ما تذهبين فإن خراجك عائد إلي أين ما ذهبت..

لقد أحبت الخيزران هذا "الولد" هارون فقد توسمت فيه النجابة وما أخطأ حدسها أبدا، لقد كان حدسها في محله، لقد كان هارون الرشيد حاكما أسطوريا في أسلوب حكمه واتساع إمبراطوريته التي امتدت في جهات الأرض.

هذه المرأة انغرست في السياسة غصنا طريا ثم أصبحت شجرة خضراء ولكنها لا تخلو من الشوك، في البيئة الصحراوية تتسم الأشجار بالأشواك التي تكون حماية لها حتى لا يأخذها الموت سريعا مثل أزهار الربيع التي تأتي بعد المطر الموسمي و الخيزران كانت شجرة في قصر المهدي يتظلل تحتها ذوو الحاجة ومن يريد الوصول لمبتغاه، وكان المهدي يقدر لها رغبة العطاء ويترك لها الزمام ولكن عندما أطل ولدها البكر الهادي الذي لم يكن هادئا في طبعه وخصاله، كان لا يملك الكثير من الكياسة التي يمتلكها أخوه الأصغر هارون، أراد الهادي أن يقص أغصان هذه الشجرة التي قد تعيقه عن القفز إلى محراب أخيه هارون ولكن الشجرة الصبارية لم ترض ولم تصبر على ذلك، يقولون إنها من حرضت الجواري على خنقه بواسطة الوسائد!!

لم تتوسد الخيزران الراحة في حكم ابنها الهادي فقد اكتشفت قبل ذلك أنه، أي الهادي، أراد أن يتخلص منها بواسطة طعام أرسله لها هدية منتقاة، ولكنها جريته على كلب مسكين (كانت الكلاب حقلا للتجارب بالسموم والآن البشر حقل للتجارب بالأسلحة النووية، لو سألنا ما الفرق بين الأمس واليوم في حقل التجارب؟ لوجدنا الفرق الآن في صالح الكلب!!) نعود لشجرة الخيزران وعصاها القاتلة التي رفعتها بعد خلاف استمر مع ابنها الهادي طيلة حكمه الذي استمر سنة وشهرين، لقد رفض تواجدها السياسي وحضورها الذي كان بقعة من الشموس الذي ظن أنه يخفي توهجه الذي لم يكن إلا باهتا في الأساس، ضاق ذرعا بمن يلجأون إلى والدته فدعاهم ليقول لهم:

- من هو الأفضل بيننا أنتم أم أنا؟

- أجابوا: بالتأكيد أنتم يا أمير المؤمنين،

وواصل الأسئلة:

- أي الأمهات أفضل أمي أم أمهاتكم؟

- أجابوا: بل أمكم يا أمير المؤمنين،

- من يعجبه منكم إشاعة الأخبار عن أمه؟

- أجابوا: لا أحد يحب الحديث عن والدته!!

قال الخليفة:

- إذن لماذا يأتي الرجال منكم إلى والدتي للحديث معها؟

للعقل علامات لا يخفيها الظل ولا تخفيها الأحجبة وقد اكتشفت الخيزران أن هناك عقلا متفتحا يريد أحد ما أن يمنع إزهاره، كان موسى الهادي يريد تولية ابنه جعفر ولاية العهد، وهو حق هارون العاقل الرشيد و"عقلها" أي الخيزران، كان يعمل من وراء الحجاب، سبق السيف العذل، هكذا يا هادي الأمر ليس لك.

لقد قضى عليه إنه غير واثق من نفسه، الهادي لم يهتد إلى أن المرأة سند له إن سار بجانبها، لقد أراد أن يغلق عليها حلقة لا تتسع لشجرة تعشق الشمس فاغتالته الوسائد التي لم يتكئ عليها!!

بالمناسبة، يقول ابن الأثير في كتابه: الكامل في التاريخ: إن موسى الهادي كان يعاني من عيب خلقي في فمه، هذا العيب يجعله متقلصا لا يمكنه من أن يبدو في كل حالاته مغلقا، فكان والده يعين له خادما يذكره على الدوام بأن يغلق فمه فيقول موسى أطبق، لذا لقب بموسى أطبق هنا يخطر سؤال بريء جدا هل لهذا صلة بما طلبه من والدته، من أنها يجب عليها إغلاق فمها؟

لقد نفر الهادي من أمه من تدخلها في السياسة فأرسل لها من يقول لها: " لا تخرجي من خفر الكفاية إلى بذاذة التبذل فإنه ليس من قدر النساء الاعتراض في الملك"[1].

قال لوالدته بعد أن رفض منحة توسطت لمنحها لرجل توسط بها، "أي توسط بالأم الخيزران": مكانك تستوعبي كلامي والله، وإلا

(1) تاريخ الطبري المجلد الرابع صفحة: 604

فأنا نفي من قرابتي من رسول الله ﷺ، لئن بلغني أنه وقف ببابك أحد من قوادي أو أحد من خاصتي أو خدمي لأضربن عنقه ولأقبضن ماله، فمن شاء فليلزم ذلك ما هذه المواكب التي تغدو وتروح إلى بابك في كل يوم؟

أما لك مغزل يشغلك، أو مصحف يذكرك أو بيت يصونك؟ إياك ثم إياك، ما فتحت بابك لمليّ أو ذميّ"![1]

هارون الرشيد هذا الحاكم الإسطوري قدر لهذه المرأة الأم الحاكمة من وراء السجف وجودها، هذا الرجل الواثق من نفسه كان أكثر عظمة وهو يظهر لوعته وحزنه على فراق أمه الحاضرة في أعماق تاريخ لم ينصف امرأة تجرأت على خرق نظام وضعته مجموعة تخاف المتغير الآتي.

يقول الطبري في شهادة إنسان حضر دفن الخيزران " لقد رأيت الرشيد يوم ماتت الخيزران وذلك في سنة ثلاث وسبعين ومئة وعليه جبة سعيدية وطيلسان خرق أزرق وقد شد به وسطه وهو آخذ بقائمة السرير حافياً في الطين حتى أتى مقابر قريش فغسل رجليه ثم صلى عليها ودخل قبرها فلما خرج من المقبرة وضع له سرير فجلس عليه واستدعى الفضل بن الربيع فولاه الخاتم والنفقات وقال له: "إني كنت أهم أن أوليك فتمنعني أمي فأطيعها".

---

(1) نفس المرجع السابق.

هارون الرشيد الواثق من ذاته لم يطفئ زبيدة المضيئة لأنه لم يكن باهتا، لقد أحبها كثيراً وأحب أفعالها الخيرة، وأيما رجل رشيد ومستقيم التفكير فلا بد أن يقف عند النصف الثاني من تكوين الحياة، عنصران لا يفترقان لتكوين الحياة السوية فالفوارق البيولوجية ترسخ عملية التوافق والتلازم شاء المعترضون أم أبوا.

ونعود مرة أخرى في بحثنا هذا، لدراسة، دكتورة ليونوره فايتسمان لنرى كيف ترسّخ الكتب المصورة صورة المرأة في الكتب المدرسية، تقول الدراسة إن في الثلث تقريبا من الكتب المصورة المدروسة لا يوجد نساء على الإطلاق فالصور والقصص تعبر عن عالم رجالي فحسب، وفي ثلثي الكتب المصورة والتي تظهر فيها النساء يكن إما شخصيات تافهة ووضيعة أو يكن أمهات وزوجات لأبناء أو أزواج شجعان[1] إلى أن تأتي هذه الدراسة إلى وضعية الحيوانات التي تصور على الدوام ذكورية قائدة على عكس الواقع الذي تقوم به أنثى الحيوان التي من المعروف أنها تقوم على صعيد الواقع الملموس بجميع الأعمال من حماية وإطعام بينما في تلك الكتب لا وجود لذلك ولا ذكر له "فقط هناك حكاية البقرة الغبية وحكاية الدجاجة الغبية"[2].

وهنا لن أنسى سخط وسخرية مارك توين على اللغة الألمانية عندما تسقط حق الأنثى في أن يكون لها ضمير معرف أو

(1) أرزولا شوي أصل الفروق بين الجنسين صفحة: 123.
(2) المرجع السابق.

تجنيس يقول بسخريته المريرة "إنه في اللغة الألمانية ليس للمرأة الشابة جنس فارق فيما يحظى نبات اللفت بجنس محدد فأي وقار ومهابة يتمتع بهما نبات اللفت؟

وأي مهانة لحقت بالبنت أو الفتاة؟"!

لا مهانة ولكنها علامات استغراب تغرس فتصبح نخيلاً شامخة تنظر بسخرية للعقول التي ألفت نظريات خربت بها عقول أجيال وأجيال وما أنزل الله تعالى بها من سلطان،

ألم يقل الفيلسوف كانط إنه لا يحصر مناقشته على الموجودات البشرية وإنما ينطبق حديثه على الموجودات العاقلة بأسرها لتبرير استخدام معيار مزدوج عن الأخلاق الجنسية إلى الحد الذي يرى معه أنه لابد من الصفح عن المرأة إن هي أقدمت على قتل طفلها غير الشرعي لأن من واجبها أن تتمسك (بشرفها الجنسي) مهما كان الثمن!!

إن هذا "الكانط" الفيلسوف الذي ينتهي في نظريته الأخلاقية والسياسية إلى أن الخاصية الوحيدة التي تجعل أي شخص على الدوام غير مؤهل للمواطنة في الدولة وبالتالي غير مؤهل للالتزام بالقوانين التي تمت الموافقة عليها هي أن يكون قد ولد أنثى!!

إذن هناك إصرار عجيب على تشكيل الفكر البدئي أو البدائي بما يرضي رغبات تسلطية تنتشر على الكرة الأرضية، في الغرب

وفي الشرق، أيضاً في الشمال وفي الجنوب، اختلفت فقط المشاهد الفلكلورية ولم تختلف الفكرة من حيث المبدأ، في فكرهم إن من ولدت أنثى لا تستحق أن تحمل اسم إنسان عاقل موجود!!.

لن أخفي رغبتي كإنسان أولا وكامرأة ثانيا في إطاحة القمع الذي يتعرض له الفكر، لمجرد أن حاملته امرأة وخاصة أنها حملت وتحمل الكثير منذ وقفت مع آدم وسارت معه في دروب الحياة لقد حملت الجنين، ذكرا وأنثى، لم تفرق، ولكن حينما تهبط كائنا أنثويا جميلا تجحظ عينا من يحمل الشرور، وتحبط "هي" "الأم" كأنها عملت منكرا!!

لقد تعرض فكر المرأة إلى القمع المبرمج الذي كان يتواصل بصمت ومازال رغم ثبوت أن الفروق العقلية تبدو الآن واهية وغبية جدا ولكنهم يظلون يتهمونها دائماً في إبداعها وفي إنجازها عملا وعقلا، إنهم يسلبون منجزاتها التي يتمددون فيها منذ الطفولة!!.

تقول عالمة الاجتماع الفرنسية أندريه ميشيل "لم تكن النساء مستغلة قط كما هي في الرأسمالية المتأخرة ففي جمهورية المانيا الاتحادية يبلغ عدد ساعات العمل المجانية التي تقدمها النساء سنويا في تدبير المنزل وتربية الأطفال 50 - 54 مليار ساعة، ويبلغ عدد ساعات العمل المأجورة سنوياً 52 ملياراً، إن العمل المجاني في حقل إعادة الإنتاج، هذا يعني "أن النساء يقمن بثلثي مجمل العمل المنجز اجتماعياً ويقوم الرجال بالثلث"[1].

(1) أرزولا شوي أصل الفروق صفحة: 27.

هو يقوم بالثلث ويرفض أن تشاركه الرأي في إدارة حياتها معه، إنه يرفض بصوته العالي همساتها التي تشبه الموجات الصوتية التي لا ترافقها الطبول.

إن لها عقلاً إنسانياً مبدعاً تماماً مثلما له، تستطيع من خلاله أن تبدع أكثر فالأزرار متوفرة لها وله وبالإمكان أن تضغط عليها ومن خلال الفضاء الواسع ومن خلال الشبكة الإلكترونية ذات الحركة السريعة بدأنا نتعامل مع ما أسمته الكاتبة الأمريكية المتخصصة في الكتابة عن مشكلات النساء، "دونا هاراواي" الكائن السيبرنطيقي وهو كائن هجين من الآلة والكائن الحي، يبدع ويتفوق إذا تهيأت له فرص العمل والأجواء المناسبة، أبدع وتفوق وذلك في مقالتها التي أطلقت عليها "إعلان مبادئ "الكائن السيبرنطيقي" تقول هاراواي "في مقالتها التي كتبتها في عام 1991 "إنه كائن سيبرنطيقي هجين من الآلة والكائن الحي يتحلى باليقظة والمشاركة في التوصل إلى طرق جديدة، لصياغة الذات المعاصرة"[1]، وتقول هاراواي "إنها تفضل أن تكون هذا الكائن السيبرنطيقي على أن تكون إلهه".

طبعاً لن تكون دونا هاراواي إلهة، ولن يكون غيرها، فلا إله إلا الله واحد أحد ولكنها تبدي رغبتها وفكرتها بأن ترسخ رؤية تمييع الحدود بين الإنسان والآلة، وهذا سوف يؤدي في النهاية إلى طمر "تصنيف" العمل النسائي والرجالي، فمن يملك عقلا يعمل به، فله

(1) النسوية وما بعد النسوية سارة جامبل صفحة: 131.

المجال، رجلاً أو امرأة، وأنا هنا مثل هاراواي لن أتمنى أن أكون كائنا سبيرنطيقيا ولكني سوف لن أسمح باجتياح عقلي وتاريخي بل أني سوف أغضب، وغضبت الغضب الصحيح، كما أزعم بكتابي هذا، آه، كأني أسمع الآن وهل هناك غضب صحيح؟

أستطيع أن أقول، نعم، ويطول المقال بعد الشواهد "بنعم" ولكني سوف أكتفي بحكاية دلالية قرأتها في كتاب جميل من الكتب التي يتحفنا بترجمتها المجلس الأعلى للثقافة في مصر الحبيبة، الكتاب من تأليف الدكتورة "كلاريسا بنكولولا" وهي إخصائية في التحليل النفسي وقاصة وباحثة" تقول الحكاية المأخوذة من الشرق: كان هناك رجل حاد المزاج عنيف الطبع مما أضاع عليه كثيراً من الوقت وأفقده الكثير من الأصدقاء المخلصين في حياته، ذهب إلى حكيم عجوز يلبس الأسمال البالية واقترب يسأله: "كيف يمكنني بالله عليك أن أسيطر على شيطان الغضب؟".

أمره العجوز أن يرحل إلى واحة قاحلة بعيدة في الصحراء وأن يجلس هناك بين الأشجار الذابلة وأن يسحب من المياه الضحلة شبه المالحة ويقدمها إلى أي مسافر أو عابر سبيل يمكن أن يغامر بالمرور هناك وفي محاولة منه لقهر الغضب، انطلق الرجل إلى الصحراء إلى مكان الأشجار الذابلة، ظل الرجل شهورا متسربلاً ببرنس يقيه الرمال الطائرة، يسحب المياه الحمضية من باطن الأرض ويقدمها إلى كل من يصل إلى هذا المكان، مرت سنوات ولم تعد بعد تنتابه نوبات الانفعال، وفي يوم من الأيام أتى إليه راكب

أسود - ولا أدري لم اختير هذا اللون في الحكاية؟ - فوق جمل إلى الواحة الميتة ونظر نظرة متغطرسة إلى الرجل الذي ناوله الماء في إناء وسخر القادم من رداءة الماء الكدر المشبع بالشوائب ورده متكبرا ومضى ينهض بجمله، في الحال استبد الغضب الأعمى بالرجل الذي يقدم الماء فأمسك بالراكب من فوق جمله وطرحه أرضا وقتله في مكانه، أوه لا!، لقد شعر في الحال بالحزن لأنه سمح للغضب بأن يستبد به، وانظر ماذا يأتي بعد، فجأة انشقت الأرض عن راكب آخر، جاء يجري بسرعة عظيمة، نظر الراكب إلى وجه الرجل الميت وقال متعجبا: "الحمد لله لقد قتلت الرجل الذي كان متوجها إلى قتل الملك" وفي هذه اللحظة تحولت مياه الواحة العكرة إلى مياه عذبة صافية وأينعت أشجار الواحة الذابلة بالثمار والنماء"[1].

تقول الكاتبة كلاريسا بنكولا: نحن نفهم هذه القصة بصورة رمزية إنها تعلمنا ألا نكتم الغضب دوما دون تفرقة، ولكن نطلقه في الوقت المناسب، وتقول "إن منح الحياة" وتعني به العطاء كما فهمت "هو نبض فطري عند معظم النساء، هن صالحات له معظم الوقت، إلا أن هناك وقتا للثورة من الأحشاء، وقتا للغضب الصحيح للثورة الحقيقية"[2].

(1) نساء يركضن مع الذئاب، كلاريسا بنكولا صفحة: 443.
(2) كلاريسا بنكولا نساء يركضن مع الذئاب صفحة: 443.

وتقول أيضا كلاريسا بنكولا "إن الكثيرات من النساء حساسات بمثل الطريقة التي تحس بها الرمال بالأمواج"[1].

إذن نقول إن رجل الحكاية استطاع قمع غضبه إلى حين ولكن حينما حان وقت الغضب الإيجابي زمجر هذا الغضب، فعلاً أطاح بالصبر، وهنا، وأنا مازلت أركض في رحلتي اللولبية سوف أستبقيكم معي قليلا، لنقرأ مع كلاريسا بنكولا في رؤية شخصية: أن المرأة حينما تُستفَز تصبح لديها القوة السيكولوجية الغريزية للغضب بطريقة واعية، وهذه القوة إحدى وسائلها الفطرية من أجل بداية الوصول إلى الإبداع وحفظ التوازنات التي تعتز بها وتلك التي تحبها بصدق، وتواصل "كلاريسا بنكولا" "هذا الغضب هو حقها وفي أوقات معينة وفي ظروف محددة هو واجبها"[2].

في الحقيقة المرأة لا تتخلى عن واجبها حتى وإن كانت مثقلة بحمل الجنين، فهي في بيتها تعمل وهي في وقت الحاجة تقاتل مثلها مثل أي بطل من أبطال الكون، ولكن ذلك العجوز الذي اسمه التاريخ الذي لا يتذكر إلا القليل من الذي يلقنه له بعض الذين لا يخلون من مصلحة ما، ذلك العجوز يورد القليل في لحظات الصدق ومن هذه اللحظات نقرأ ما فعلته أم سليم بنت ملحان، لقد قامت هذه المرأة الرائعة المؤمنة بواجبها، بحماية رجل آمنت به، عندما رأت الرجال يتخلون عن واجبهم في حمايته، لقد ربطت هذه المرأة

(1) كلاريسا بنكولا نساء يركضن مع الذئاب صفحة: 443.
(2) كلاريسا بنكولا نساء يركضن مع الذئاب.

القوية بإيمانها على وسطها ببرد، ليساعدها هذا البرد في حمل الجنين الذي هي مسئولة أمام الله عنه، ولتتقي الإجهاض الذي قد يتعرض له جنينها ولتحمي رسول الله، الله أكبر ما أجمل المرأة المؤمنة القوية، لقد قاتلت أم سليم بنت ملحان في موقعة حنين كأي بطل من الأبطال، لا تحمل إلا خنجرا تشهره في وجه الأعداء الذين يريدون قتل الرسول أو التخلي عنه، لا، هذا لا يكون، كيف لهم أن يتخلوا عنك يا رسول الله و أم سليم هناك؟!

ولأنني هنا بعد ألف وأربعمائة وخمس وعشرين سنة مازلت أسمع التشكيك، في قدراتي العقلية والإبداعية والسياسية، وهذا مربط الفرس التي لا يراد إلا أن تبقى فرسا وحسب، تحملُ ويُحملُ عليها الأثقال، وحملت المرأة الأثقال من أفعال وأقوال، وسارت مفعمة بالحيوية متدفقة بالإمكانيات.

ولأن إمكانياتها متدفقة مثل النهر الذي لا ينضب بل هو الخصب والنماء، فإن النبض يستمر في الدفع إلى أعلى ونبض المرأة السياسية مثل أي نبض إنساني لا يتخلف إلا أن يعيقه عائق.

لمَ الاستغراب؟

شيء جميل لي ومثير ربما لذلك الرجل من جنوب الأرض وأخوته في شرق وشمال الأرض؛ ففي أثناء انهماكي في كتابة هذا الكتاب قرأت تصريحاً صريحاً وواضحاً لوزير خارجية المملكة العربية السعودية الأمير سعود الفيصل: قال وزير الخارجية الأمير

سعود الفيصل في مؤتمره الصحفي الدوري في الرياض يوم 9 أكتوبر 2003: "أنا أستغرب من الاستغراب في تشغيل المرأة في مجال مثل وزارة الخارجية" "وإن عمل النساء في وزارة الخارجية ليس جديداً".

وقال أيضاً: "وهذا أمر طبيعي ومطلوب".

إذن هو مطلوب وطبيعي فلمَ الاستغراب؟

ذاك سؤال، ظل لا يتلاشى، ظل يأخذني بعيداً.

ثم أعادني إلى المبتدأ لأبحث عن الخبر، والأخبار تقول: إنه الخوف اللامبرر من عمل المرأة، ذلك الخوف مازال مضارعا يقرع بأوامره العقول النائمة فيها خلايا الوعي، يخافون من وجود المرأة، وهو وجود لا يمكن الهروب منه، فهل أحد عاقل يهرب من حضن دافئ؟

تحتوي المرأة الرجل جنينا ثم تضعه في حضنها طفلا ثم يأتي زمن يعلن ذلك الذي كان في الأحضان استغرابه من وجودها الفاعل!

هنا في الشرق مهد الحضارات، والحضارات كما رأينا دائما تقوم بالسواعد مجتمعة، ولكن أتى زمن ربطت نصف السواعد، فما الذي حدث؟ سقطت مباني الحضارة على الرؤوس الصغيرة التي ظلت تستظل بها ولا تجديد فيها للبناء، وللتجديد دواع تصرخ في صحارينا، والمرأة في أصعب الظروف تلتقط مثل رادارات الاستشعار نداءات التجديد البنائي الحديث، الذي نحن كأمة

مسلمة تحيط بها الأمم أحوج ما نكون إليه، ولكن هؤلاء الذين يضعون السلاسل حول معصميها ينسون أنهم لا يستطيعون البناء، ولا السير في سفينة الحياة بدونها، وهنا كان ذلك التقهقر الذي تنزلق إليه الأمة كلما وضعت قدميها على سلم الصعود.

أسمع فيافي الصحراء تناديني كامرأة مع أخواتي لنقف مع إخوتنا وآبائنا وأبنائنا لنشيد ونبني لأبنائنا الصغار كي تقف هذه الأمة في موقفها الذي تستحقه وليس ما وضعت فيه.

السياسة للأقوياء فكرا وعقيدة، والقوة لها ما يدعمها من رباط الخيل الذي آمل أن لا يربط به النصف الآخر من المجتمع، فالأربطة تربط بها البُنى التحتية حتى لا تقع على ساكنيها، ولا أرى الرجل يسكن وحده كإنسان مكتمل الهيئة والرؤى، وإن رأت فئة ذلك فهذا ما أوقع مجتمعنا الشرقي المسلم في موقف الخائف المترقب لما سيكون وكائن.

وكائن الآن ثورة "كما يقولون" للبحث عن حقوق المرأة التي غيبت طويلا، حسناً، حسناً جداً هذا البحث عن حقوق المرأة، لو كان مجردا عن الهوى، ولكن دعونا أيها الأحبة نفتح نافذة على هذه الثورة، أراها في كل جهات الأرض، الكل يقول: أعطوا المرأة حقوقها، ونحمد لله ونقول: لله وحده المنة، فهناك من يريد الحق ولكن هل صدقت الأصوات؟.

لنلق حول الأصوات التي ملأت الفضاء وأوراق الصحافة نظرة خجولة والخجل من سمات النساء والوضع يحتم هذا الخجل المبرر فلكلِ صوت مصلحة خاصة تصرخ في الأرجاء.

يقولون: أعطوا المرأة حقوقها، ونبحث عمّا تعنيه الحقوق، فنجد أنها تعني حقوقهم في الاستفادة من أوضاع تعنيهم في المنطلق الأولي وتفيدهم في الأخير، هل تتذكرون "السيدة مروة كفاكتشي"؟

تتساءلون: ماخطب هذه السيدة؟

لقد انتخبت نائبة عن حزب الفضيلة في البرلمان التركي، انتخاب؟

جميل وطيب، ما المشكلة إذن؟

إنها تريد أن تغطي شعرها..

وهل هذه مشكلة تمنع تفكيرها وتواجدها على رأس العمل؟

لا، ولكن هذا يمثل معتقداً دينياً..

ما المشكلة، هو معتقدها الذي تؤمن به ولها الحق في اتباع تعاليمه فماذا يضر الوطن التركي؟

هل تدك جبال الأناضول؟

أو هل تهبط أسطنبول في مضيق الدردنيل؟

ضجيج ولغط يطلقه العسكر والأحزاب "لا لمروة وإلا هناك انقلاب" وتنقلب الديمقراطية إلى سراب وينفض الجمع من حول مروة ليلحق بمن سمعت النصيحة واسمها نسرين أونال ليصفق لها العسكر والأحزاب، فقد خلعت غطاء الرأس.. سياسة أليس كذلك؟!

تبا لديمقراطية الفحولة.

حجب العسكر عنها السياسة لأنها لم تترك الهوى والهواء يلعب بفكرها وبشعرها، لقد كانت تريد أن تفكر وتعمل في هدوء، ولكنهم أرادوها غزالة تطاردها العيون وتفتك بها النظرات..

ثورة "يقولون" وبحث عن أشكال النساء في عصر الديموقراطيات التي يفصلونها على مقاساتهم المضبوطة عند خياط مطيع، لقد سرق حق المرأة في وضح النهار وقالوا: إنها تثير المتاعب لأنها أرادت أن تمارس حقها، حتى في طريقة ارتداء ملابسها، الفتيات الصغيرات يمنعن من دخول مدارسهن بفعل السياسة، امرأة تفوز بانتخاب الشعب نائبة تمنع بفعل السياسة، ترى أرجل هي السياسة يحمل عصا غليظة وخائفاً؟

أم كائن يصيب الأحاسيس بالشلل فيجعلها حجارة؟

في أوربا وفي أميركا وفي الشرق الآن من يقول إننا لا بد أن نكون سياسيين متحضرين.

ومرحباً بالحضارة التي لا تسلبني حقوقي، أريد أن أرتدي ما أرى أنه يليق بي، ولا أريدُ أحدا يقرر عني، أريدُ أخذ حقوقي ولا أريدُ أن أرى أن أحدا يسلبني إرادتي، فإذا غلبت الإرادة غلبت الوطنية والمرأة وطن لا تُغلب إلا ويغلب الوطن وينشل عنفوانه، فمن ذا يريد أن يشل العنفوان؟

في رحلتي اللولبية بحثت عن الحكمة فوجدتها، أنثى تلد العظمة، وتلد التواضع، فإن كانا توأمين، أعني العظمة والتواضع، فذاك وطن جميل يتكون، ودائما الأنثى تلد، فالحكمة أنثى، والشجاعة أنثى، والقوة أنثى، واللغة أنثى، والبهجة أنثى، والعبقرية أنثى، والرحمة أنثى، ولن تستقيم الحياة إلا بالحنان وهو رجل، والسلام وهو رجل، والحب رجل، والإيثار رجل، والذكاء رجل، إذن لماذا لا يلبس الرجل الحكمة وتحتضن المرأة السلام؟

لماذا لا يتواضع الرجل للحقيقة؟

ألا يريد هذا الرجل من جنوب الأرض، أو غربها أن يكون قويا عظيما؟

يقول حكيم من حكماء الصين واسمه لاوتسو "إن القوة الكبرى تأتي من التواضع".

ترى من يتواضع للحقيقة ومن يحملها فوق رأسه بدلا عن عقال أو قبعة مزركشة الألوان؟

سؤال؟ مجرد سؤال أريد أن يجيب عليه رجل يحب أن يلمس الحقيقة الناصعة البياض؟

كنت أريد الحكمة ناصعة جميلة، ولكن ذلك الرجل العجوز ذو الثياب الممزقة الرثة وأعني به التاريخ، حمل لنا كثيرا من المتناقضات والحقائق المذبوحة ولعل القارئ الكريم رأى ولمس معي ميل معظم الكتاب السابقين والذين لحقوا بهم، التمثيل بجثة الحقيقة بحيث يخرج هذا القارئ وهو مشتت الذهن فما يراه من أمه وأخته وزوجته التي تأويه بعد أن يكون قد خرج من حضن أمه يختلف عما يقرؤه، هو يرى ويلمس شيئا جميلا ويأتي كاتب بعيد ويكون عادة من الذين يشار لهم بالأظافر لأنهم يستخدمون الأظافر دائما في وجه المرأة" فهو فيلسوف" أو كاتب " كبير" يكتب شيئا يختلف عما ألفه، هذا القارئ يجد أن الصورة تختلف، تختلف تماما عما رآه، يجمع أولئك الذين يفلسفون واقعا لم يره إلا هم لأسباب ربما لا تكون مجهولة لمن يعرفهم ولكنها مجهولة للقارئ الذي يأتي ربما بعد مئات السنين ليقرأ المخالف والشاذ كمسلمات وقد أتت من ضعف وخوف وربما انتقام من فشل في الحب ليس إلا.

مررت على كثير من الممالك والبلدان لا أحمل جواز سفر مختوما عليه اسمي ورسمي ولا أقف في طابور العالم الثالث الذي فقد التاج والصولجان، كان صولجاني قلمي الأزرق يتدفق حبا نحو العالم والإنسان رجلا وامرأة، لكني في كثير من الممالك والأقطار توسدت الحزن عندما رأيت أمي حواء يساء لها من قبل أبنائها الذين حملتهم وعلمتهم الحرف الأول من اسمهم الذي شمخوا به

قبل أن يشمخ بهم، رحلت في البلدان وأنا أشمخ باسمي وأمي حواء، وحين عودتي من رحلتي اللولبية، فإني أقرّ في بيتي، إلا ما أتاحه لي ربي في شريعته، الكاملة، العادلة، التي قرأتها وعملت بها، قال ربي: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2].

وأيضا قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾[3].

وأيضا قوله: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾[4].

وذكر ربي في قرآنه الكريم: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[5]، هاهو الله الحق وهو الحكيم الخبير يخبرنا أن عباده أولياء بعض ينصرون بعضهم بعضاً وبينهم المحبة ويأمرون بالمعروف

(1) التوبة: 105.
(2) النحل: 97.
(3) الرعد: 29.
(4) النساء: 124.
(5) التوبة: 71.

وينهون عن المنكر، فهل نرفض أن نكون أولياء بعض؟ هل نرفض أن نعمر الأرض ونأمر بالمعروف ونطيع الله بما أمر؟

حاشا لله أن يكون ذلك ونحن نفهم ديننا الحق.

ماذا تريدين؟

ويسأل سائل من الجنوب ربما أو ربما من الشمال ماذا تريدين أيتها المرأة؟

هل تريدين أن تصبحي وزيرة أو سفيرة؟

وأقول له: أيها السائل الكريم، أنا لا أريد رئاسة ولست أهوى قيودها، وحدودها التي لا أعلم "وربما الكثيرين غيري" أين تقف!!

إنما أريد أن تعلم أني قد بلغت الوعي منذ بلغته أنت، وإني مثلك تماما مواطنة من الدرجة الأولى، لي أن أختار ما يليق بي ولي أن أرفض كل ما يمس حقوقي وكرامتي، أريد أن أشاركك في صنع القرار الذي يمس حياتنا جميعا العامة والخاصة لا ينقصني كوني امرأة ولا يزيدك كونك رجلاً.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (أصابت امرأة وأخطأ عمر) وهذا اعتراف من رجل قوي عادل، إنه عمر بن الخطاب ذلك الرجل الجليل زعيم الأمة وسيدها، لم يأنف أن يقول الحقيقة التي رآها أمامه وهو الذي عين أول رئيس للحسبة من بنات حواء، وهذا المنصب بمثابة وزير للتجارة، هذا المنصب تولته السيدة الجليلة الشفاء بنت عبد الله العدوية وهذه المرأة عرفت بقوة الرأي وسداده.

يخطئ الرجل تماما باستبعاد النصف الآخر من الذين يعمرون الأرض بحجج لا ترقى إلى الواقع الملموس بكل الحواس.

يقول دكتور عبد الله الغذامي في كتابه "المرأة واللغة" إن بعض العرب يحددون عمر المرأة بالفترة التي تنجب فيها الولد وبعد هذا العمر فلا يحتسب للمرأة وجود"[1]!

هكذا هم يعتقدون أو ربما يريدون، اختلطت الإرادة والاعتقاد هنا،لأمر في نفس يعقوب، ولكنهم هناك، أي في الولايات المتحدة الأمريكية ثبت عندهم العكس تماما، يقول الدكتور دوغلاس باول منسق برنامج العلاج السلوكي في قسم الخدمات الصحية في جامعة هارفارد ومدير الأبحاث في علم السلوك، يقول هذا العالم: "منذ نصف قرن، كان متوسط عمر الإناث في الولايات المتحدة حوالي 70 سنة بينما الذكور يعيشون قرابة 65 سنة أي إن الفارق كان في المتوسط حوالي خمس سنوات في متوسط العمر في سنة 2000 سيكون المتوسط 80 للإناث وللذكور 73 سنة"[2] واحسب أنت الفرق، يقول: هذه هوة عمقها سبع سنوات ويقول: "إن الفارق قد ازداد بقدر 40 في المائة خلال السنوات الخمسين الماضية"[3]، يقول الدكتور دوغلاس باول أيضا في كتابه: "تسع خرافات في الشيخوخة" : "قد يكون لهذا التغيير دلالة رقمية على الفوارق بين

(1) المرأة واللغة للدكتور عبد الله الغذامي ص 41 و 42.
(2) دوغلاس باول، تسع خرافات عن الشيخوخة صفحة : 248.
(3) دوغلاس باول تسع خرافات عن الشيخوخة صفحة: 248.

الإناث والذكور تتسع مع العمر وقد اكتشفنا أن النساء المسنات أفضل من ناحية الصحة الجسمية بشكل عام من الرجال في سني الشباب والشيخوخة اعتمادا على تأثير التدريب الحيوائي على الوضع القلبي الوعائي"[1].

كما عرضنا يقول: "إن الترابط بين حجم الشبكات الاجتماعية والصحية يظهر أن الإناث يستطعن البقاء في صحة جيدة مع قلة من المقربين أكثر مما يستطيع الذكور ربما لأن صداقات الإناث أعمق، أما الرجال المسنون فلا يستطيعون العيش بمفردهم؛ لأن عدد أصدقائهم المقربين أقل"[2]، وقال دكتور باول: "يثير الدهشة أيضا التغييرات التي تطرأ على الشخصية مع تقدم العمر، مرة أخرى يبدو أن الجنسين يتقدمان في اتجاهين متعاكسين، يميل الرجال إلى الاعتدال والمسالمة أكثر مع تقدم العمر ويصبحون أقل إصرارا على الاعتماد على الذات، أما النساء فيصبحن أكثر استقلالا ويملن نحو المغامرة والثقة، ويرتحن للتعبير المكشوف عن الغضب مع مرور السنين"[3].

نسأل الآن: هل تلام تلك المرأة من التعبير المكشوف عن الغضب؟ والله إنني لا ألومها، لا ألومك أيتها السيدة التي حتى مملكتك الصغيرة يريدون اجتياحها، يجتاحها ذلك الرجل إذا أحيل على التقاعد!!

(1) دوغلاس باول تسع خرافات عن الشيخوخة، صفحة 248.
(2) المصدر السابق.
(3) المصدر السابق.

يقول دوغلاس باول في كتابه أيضاً: "خلصت الأبحاث حول الأزواج المسنين إلى أن الزواج يتعرض لأزمة عندما يتدخل الزوج الذي تقاعد لتوه فجأة في مملكة الزوجة، فها هو يحمل طاقة وقلقا وليس لديه ما يفعله ويريد أن يكون مفيدا فيعطي زوجته نصائح كثيرة حول ترتيب البهارات وتنظيف السجاد بطريقة أفضل وتشغيل جلاية الأطباق بشكل اقتصادي أكثر، وبعد قليل ترد الزوجة الهجوم ويصبح الوضع سيئاً"[1].

وسيئاً جداً أن لا نرد الهجوم عندما نهاجم، والأسوأ أن يكون الهجوم من معقل المرأة الذي هو مملكتها الباقية.

ولنترك الهجوم فلسنا من عشاقه ولكننا في الحقيقة نعشق العلم ونريد أن نصبح أعضاء في ناديه الذي يفتح أبوابه:

يقول العلم في دراسة نشرت في ألمانيا (وهناك شواذ وهذا موجود في كثير من الكائنات): إن الذكر هو الحلقة الأضعف في الجنس البشري، فهو مهدد بالانقراض في مدى 5000 جيل خلال 125 ألف سنة، وتقول تلك الدراسة إن الذكر وهو الأضعف مناعة والأقصر عمرا والأفشل دراسة والأقل ذكاء والأكثر هشاشة ومرضا والأعتى إجراما والأكثر إدمانا على الكحول والمخدرات والأكثر تسلطا وشنا للحروب وجد أنه يعيش أسطورة القوة لأنه خائف، فإذا نظرنا إلى الخارطة الوراثية رأينا أن الأنثى تحمل نسخة

(1) المصدر السابق.

مضاعفة من الكروموسوم (XX) مما يعينها على تلافي تراكم الأخطاء بعمل الطفرات فيتم ترميمها من خلال تبادل المعلومات الوراثية في الكروماسوم المضاعف الاحتياطي في حين أن الذكر يحمل كروموسوما ذكريا هزيلا غير قابل لتبادل المعلومات مع الكروموسوم (X) إلا في الأطراف إذن رغم أن نطفة الأنثى هي الأقل إلا أنها هي الأقوى، ورغم أن الطفل الذكر يظهر بكتلة دماغية أكبر عند الولادة من البنت فإنه يحتاج إلى 4 - 6 أسابيع حتى يلحق بالبنت، فالأنثى أفضل اكتمالا من الذكر في دماغها منذ لحظة دخولها للحياة!!

والبصر ماذا عن البصر؟

تقول هذه الدراسة: إن 1 من 12 من الذكور يحملون ضعفا في الإبصار اللوني، أما الأنثى - ما شاء الله تبارك الله - فإن النسبة لا تتجاوز الواحد في المئة، لقد جرى تأكيد الأمر في اجتماع عالمي في برلين في شهر أغسطس 2003 م وحضره 2500 عالم ديموغرافي في علم السكان ووجد في هذا الاجتماع أن الذكور يميلون نحو الجريمة تسع مرات أكثر من الإناث وأن عوائق اللغة عند الذكور هي ثلاث مرات أكثر من الإناث، وأن الأنثى أفضل في إثارة الأحاديث بسبب الشبكة العصبية الممتازة بين نصفي الدماغ، ولهذا ربما كان حسد الرجال الذي يأتي على شكل اتهام بثرثرة المرأة وليس من قبيل الثرثرة، وقد وجد أن معظم المتخلفين في الفصول من الذكور، وأن من اجتاز عتبة الثانوية كان السبق فيه للإناث 26 مقابل 21 للذكور وأن معدل محاولات الانتحار التي

أحصيت في ألمانيا تفوق فيها الذكور بحوالي أربع مرات على الإناث ولا ينتحر إلا الضعاف القانطون[1].

أم سلمة:

شرائع الحكمة نادت والرجال الحكماء سمعوا النداء وقد أتى هذا النداء من امرأة، جاء هذا النداء طيبا مباركا لا لبس فيه ولا غرور.

كانت أم سلمة السيدة هند بنت أبي أمية ابن المغيرة المخزومية بصحبة زوجها رسول الله وقائد المسلمين في رحلته إلى مكة بلده الحبيب الذي أخرج منه، كان عائدا ومعه جيشه الذي كان أيضا بشوق إلى العودة، الكل كان يتلهف لرؤية البيت الحرام وقبل الدخول تقف قريش في وجه الزحف المقدس رافضة دخول محمد وصحبه الكرام، ويقف الرسول الكريم يفاوض، لا يريد رسول الله قتالا، لأن الله شاء شيئا آخر وله الإرادة وله الطاعة، وقد امتنع الدخول وهنا تمت أخطر معاهدة سياسية، ذلك صلح الحديبية، ماذا يحدث؟

الوضع ليس مريحا فالهمهمة لها صوت مسموع والرفض باد على الوجوه، يا الله، هناك شعور بأن رسول الله ﷺ تهاون في حق أتباعه ماذا يحدث؟

(1) المصدر السابق صفحة: 249.